

تذكير المسلم بفضل العلم وأهم ما يجب أن يعلم

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقه واتبع نهجه،
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد:

اعلموا عباد الله أن الله ﷻ خلقنا لنعلم ولنعبده على علم، ولهذا كان من أراد الله به
خيرا فقهه في ذلك، كما في الصحيحين من حديث معاوية رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "مَنْ
يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ" البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

وبيان هذا الحديث عظيم، فإذا أراد الله ﷻ لعبده خيرا علمه وفهمه وفقهه في دين الله
ﷻ، ولهذا كلما كان الإنسان أعلم كان أفضل، وأن الناس يتفاوتون في فضلهم على قدر
علمهم بالله وكتاب الله ودين الله، ولا رفعة في هذه الحياة الدنيا لعبد إلا أن يعلم، قال ربنا
ﷻ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة المجادلة: ١١].

والمؤمنون ما رفعوا إلا بالعلم، لأن الله حق، وآمنوا به، وهكذا أهل العلم ما ازدادوا رفعة
على غيرهم إلا بمزيد علم على غيرهم من المؤمنين الذين لم يصلوا تلك الرتبة، فالآية فيها رفعة
المؤمنين وشاركتهم أهل العلم فيها ثم ازدادوا مزيد علم فازدادوا رفعة، والذين أوتوا العلم
درجات، ولم يأمر الله ﷻ نبيه أن يسأل شيئا من الدنيا، وإنما أمره أن يسأل مزيد العلم، قال
الله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١٤].

فلا زكاة للأمة إلا به، ليس للأمة زكاة، ليس لأحد أن يكون زكيا نقيا إلا به، قال الله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [سورة الجمعة: ٢].

فتزكية الأمة بالعلم بتعليمهم الكتاب والحكمة، ولا نور للأمة إلا به، قال الله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٦﴾ [سورة المائدة: ١٦].

بماذا يخرجهم، بماذا يكون نوره؟ إلا بالعلم، نور وكتاب مبين، فالعلم نور به يخرج الله من أراد إخراجهم وتوفيقه من الظلمات إلى النور، ولا بصيرة لأحد إلا به، قال الله لنبيه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف: ١٠٨].

ولا حياة حقيقية إلا به، وإلا فهي حياة سائر الحيوانات، قال الله: ﴿وَمَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢]. هل يستوي هذا وهذا؟ فميز الله بين العباد به، قال الله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر: ٩].

فجعل الله ﷻ المساواة بين من يعلم أن الله هو الحق، بين من يعلم ومن لا يعلم، إن المساواة بين ذلك جهل، قال الله: ﴿أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [سورة ص: ٢٨].

هذا يعبد الله على علم، هذا متقي لله على بصيرة، وهذا فاجر على جهل، هل يستوي هذا وهذا؟ هذا مسلم على علم، وهذا مجرم على جهل، قال الله: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَرِ﴾ [سورة القلم: ٣٥، ٣٦].

ولا تقوى حجة أحد في هذه البرية ولا في الآخرة إلا به، من جاء بغير العلم لا حجة له، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٨٦].

من شهد بالحق وهو يعلم أن الله هو الحق تنفع شفاعته، وإلا لا حجة إلا بالعلم، ولهذا صال أهل العلم على الجهال في الدنيا والآخرة، قال الله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الروم: ٥٦]. وأولئك يقسمون أنهم ما لبثوا غير ساعة، أنكروا حياتهم، أنكروا أوقاتهم، أنكروا أنفسهم بسبب الجهل كما قال الله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَبَصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَّ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الأحقاف: ٢٦].

سمع وأبصار وجوارح ما أغنت عنهم شيء، عطلوها حتى أنكروا حياتهم وأقسموا أنهم ما لبثوا غير ساعة، فأقسموا بالله جهد أيمانهم، أقسموا بالله، قال الله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [سورة الروم: ٥٥].

سبحان الله، عمر طويل كله مجحوف، هذا بسبب الجهل، **فصال** عليهم أهل العلم، قال الله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الروم: ٥٦].

ولا ترتكب الشهوات والشبهات إلا بعدم العلم، ويُتَّبِع آثار أهل الجهالات ومطامع الدنيويات، ففي قصة قارون لما خرج قارون بأُجَّتِهِ ذلك المنافق المغرور بالدنيا خرج على قومه في زينته، قال الله: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة القصص: ٧٩].

وصال أهل العلم بحجتهم لإرجاع الناس إلى الله، قال الله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْلِحُهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ فَنَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُتَصَرِّينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة القصص: ٨٠، ٨١].

لولا منة الله علينا لصرنا مع قارون، ﴿وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾، قال الله جل وعلا: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة القصص: ٨٣].

فعلم أهل العلم ما عليه قارون مهما كان بمرجه، وانبهر أهل الجهل بحالته وبمرجته فندموا، فالعلم عاقبته النجاح، والجهل عاقبته الندم.

إن الله ﷻ جعل هذا العلم روحا للعباد، روحا، قال الله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الشورى: ٥٢].

لا بلاغة للأمة إلا بذلك، بلغوا عني بلغوا العلم عن رسول الله، عن الله جل وعلا، هكذا، فهو مبلغ عن ربه، قال الله: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [سورة المائدة: ٦٧]

فهو مبلغ عن الله، والعلماء مبلغون عن الله وعن نبيه، ولهذا صاروا وراثا، قال ﷺ كما في حديث أبي الدرداء الثابت عنه ﷺ: "من سلك طريقا يطلب فيه علما، سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر" أخرجه أبو داود (٣٦٤١) واللفظ له، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٢١٧١٥).

العلم هو بلاغ عن الله، بلاغ عن رسل الله، بلاغ لدين الله، فما غبطة إلا فيه، في الصحيحين، عن ابن مسعود ﷺ، أن النبي ﷺ قال: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا" البخاري (٧٣) مسلم (٨١٦)

لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق: وهذا في العلم، فلا يكون مسلطا على ماله في الحق وتسيير ماله في الحق في الزكوات، وصلة الأرحام، وإكرام الضيف، وما إلى ذلك من مصارفه الشرعية إلا بعلم في الحق، الذي يتواصى به المؤمنون ويتواصوا بالحق ويتواصوا بالصبر.

ورجل آتاه الله الحكمة: أي السنة فهو يقضي بها ويعلمها، قاضيان في النار وقاض في الجنة، أما الذي في النار فرجل قضى بغير علم، إذا قضى بغير علم هو من أهل النار، لأنه

يوقع الناس في الهلكات والمضرات والفتن والمشكلات، ما للناس مخارج إلا بالعلم، وقاضٍ في الجنة، والقاضي الآخر في النار رجل عرف الحق علم وقضى بغيره، **فاوت** العلم وتجاهل العلم ولم يطبق العلم ولم يعمل به، فالذي في النار هو الذي على جهل أو يعلم ولا يعمل، وقاضٍ في الجنة وهو الذي علم وقضى بالعلم، قضى به قضى بالحق، ولهذا فإن هذا العلم عباد الله يكون لصاحبه بفضل الله سبحانه عامل به، يكون كالغيث في الأرض، العلم مثل غيث على أرض، فإن الأرض تموت، تموت الأرض والله، تجذب، قال الله: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ﴾ [سورة الحج: ٥].

تجذب الأرض،

أماتنا الأرض تحيا بماء وتأتي بما يعجبه الناظرين،

فإن لم يصبها سماء بماء تموت وفي ذا البلاء المبين،

والعلم مثل الغيث، ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قِيلَتْ الْمَاءُ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمَسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا. وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِّنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ" البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

الطائفتان كلهم مستفيدون، كلهم على حياة، المسكة للماء أرض حية، والمنبتة للكلاء أرض حية، وأصاب أخرى إنما هي قيعان سباح لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، ذلك مثله ما بعثني الله به من الهدى والعلم، فعلم وعلم، "ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أُرْسِلْتُ بِهِ".

من أين للناس هداية إلا بالعلم، من أين للناس هداية؟ الناس في عمى، ما لم يكن هناك علم يسيرون عليه، قال الله: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ٧٢].

فمن عمي عن العلم والهدى والسنة والتوحيد في هذه الدنيا، يوم القيامة أعمى، قال الله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۖ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [سورة طه: ١٢٣، ١٢٤]

وإما يأتينكم مني هدى هو العلم، فمن اتبع هداي فلا يضل هذا عصمة عصمة، الأخذ بالعلم والعمل به عصمة من الضلال، فلا يضل ولا يشقى، لا يضل في الدنيا ولا يشقى الآخرة، ومن أعرض عن ذكري، عن العلم، فإن له معيشة ضنكا، تعسة إي والله، أنتم تنتظرون بأعينكم حياة الكفار وحياة المتشبهين بهم، كيف حياتهم تعسة ضنكة، ما وجدوا الراحة والله، قال الله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٥]

بعضهم ينتحر، وأنت مع العلم يا أخي احمد الله على هذه النعمة، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [سورة طه: ١٢٤-١٢٦]. قال كذلك أنتك ءآيتنا فنسينها وكذلك اليوم نُنسِي ﴿١٢٦﴾ [سورة طه: ١٢٤-١٢٦].
"قال كذلك العمل" الجزء من جنس العمل.

﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنتُكَ ءآيتنا﴾ كالعلم جاءك العلم أنتك آياتنا فنسينها، عامة المفسرين في هذه الآية على أنك تركتها، عاملتها معاملة الناس، ما أخذت بها ما عملت بالعلم، وكذلك اليوم تنسى، تترك في عذاب الله جزاء وفاقا، لعملك السيء وتعاملك بالبعد عن العلم النافع والعمل الصالح، لا تقوم حياة المجتمعات ولا شرف لهم في الدنيا ولا في الآخرة ولا علم إلا بذلك، إي والله، ولهذا لما قالوا ﴿أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [سورة القصص: ٢٤] وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ﴿استجاب الله

بعث لهم طالوت ملك يقودهم، ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾

ما عنده مال، ولم يؤت سعة المال،

﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾

هذه ميزة الاصطفاء، وميزة التقديم والمكرمة، الله علمه فضله، علمك ما لم تكن تعلم، وصال بحجته حتى الهدهد طير من الطيور، وكان متوعدا بالذبح، لكن الله نجاه بالعلم، وجعله يصول بحجته، قال الله: ﴿وَتَقَدَّ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (سورة النمل: ٢٠، ٢١).

نبي الله سليمان ﷺ الطير معه والجن معه والإنس معه والريح معه، آتاه الله من الملك ما لم يأت أحد، ﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ (١١) ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ مكث أي: أتى إلى زمن غير بعيد ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَخِطْبُكَ مِنْ سَيِّئِ بَنِي إِدْرِيسَ﴾ (٢٢) ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣) ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

غار الهدهد على قوم يعبدون غير الله، غار طير غار، يسجدون للشمس من دون الله، واعتبر ذلك من نزغات الشيطان، ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (٢٤)

قوم يعبدون الله على جهل، جاء بخبر وسلم وصار مكرما، أتى بعلم، هذه فائدة العلم عباد الله، حياة في هذه الدنيا على غير علم حياة لا قيمة لها، نسأل الله العافية.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي منّ علينا فأفضل وأعطانا فأجزل، هداانا للإسلام، وفقنا لسنة خير الأنام، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا.

أيها الناس: اعتنوا بالعلم، اعتنوا بالعلم، عظموه تعظيما يرضاه الله ﷻ عنكم، وإن كنتم سمعتم مثابة العلم، ومكانة العلم، وكيف امتن الله على أنبيائه بالعلم، حتى قال الله ﷻ: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٨٠) ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأنعام: ٨٠)

كيف أخاف شرككم، ما أنتم فيه من الباطل، وأنتم ما تخافون أنكم أشركتم بالله بغير علم بغير سلطان بغير حجة، قال تعالى: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

كان عندكم علم هل أنا أحق بالأمن أن أكون آمناً؟ أن أكون آمناً ومع الأمن في الدنيا والاخرة؟ أم أنتم على ما أنتم عليه من الجهل فأبي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون، إلى قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنعام: ٨٣].

فرفعه الله بالحجة وصال بالحجة، حتى قال لهم حين وجد أنهم يعبدونه: ﴿قُلْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَبْنَازُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ [سورة الأنبياء: ٦٧، ٧٠].

إنه العلم عباد الله، نبي الله يوسف يقول: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [سورة يوسف: ١٠١].

هكذا نبي الله يعقوب يقول لأبنائه حين قال: ﴿وَلَمَّا فَصَلَ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾ (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِمَّا اللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ [سورة يوسف: ٩٤-٩٦].

آدم هكذا أيضا ميزه الله ﷺ حتى على الملائكة، وأمر الملائكة أن يسجدوا له، قال الله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٣١].

يعني هذه الأسماء علمه، هل يعرفونها؟ فقال: ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنْثَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ [سورة البقرة: ٣١-٣٣].

والشاهد أن الله ميزه بالعلم، هذه أمور مهمة في هذه الحياة الدنيا، لا قيام إلا بها، بعلم الكتاب والسنة والحجج الواضحة البينة، هي كلها بالعلم، كل خير في الدنيا مداره على العلم، كل شر في الدنيا مداره على الجهل بالله وبشريعة الله وبدين الله، وأهم العلم أن تعلم أنه لا إله إلا الله، قال الله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [سورة محمد: ١٩].

وأهم العلم أن تعلم أن رسل الله الحق، قال الله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْهُدَى مِنْكَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة القصص: ٥٠].

وقال الله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة هود: ١٤].

وأهم العلم أن تعلم أن هذه الحياة الدنيا زائلة، لا تخلد إليها، فإن لم تعلم ذلك صرت من أصحاب الدنيا، لا من أصحاب الآخرة، ثبت عند البخاري (٢٨٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "عس عبد الدينار، عس عبد الدرهم، عس عبد الحميصه، عس عبد الحميلة، عس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش".

مدعو عليه بهذه الدعوات التي تجعله في خضم الخاسرين، بسبب عدم علمه بأن هذه الدنيا زائلة، تعامل معها بالتعامل أنها دنيا لا شيء، قال الله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ، ثُمَّ يَهِيْجُ فَرَقَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [سورة الحديد: ٢٠].

ومن أهم العلم أن تعلم أن هناك من يفتنك عن دين الله، قال الله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ٢٨].
وقال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٢٤].

فواجب أن تعلم أنك راجع إلى الله، هذه عقيدة، كل هذه الأوامر كلها تدل على الوجوب، وأنه من جهلها جهل واجبا يَأْثَمُ على عدم تعلمه، ويدخل تحت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" أخرجه ابن ماجه (٢٢٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

ما دلت عليه هذه الأوامر، كيف يصلي؟ صليت على غير علم صلاتك باطلة، "صل فإنك لم تصل" أخرجه البخاري (٧٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حججت على غير علم حجك باطل،: "خذوا عني مناسككم" روى مسلم (١٢٩٧)
عن جابر رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عملت أي عمل بغير علم، عملك مهذور، "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه،
فهو رد" رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨)، وفي رواية لمسلم (١٧١٨): "من عمل
عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رد"، عن عائشة رضي الله عنها، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مالم تكن عاملاً بالعلم مخلصاً فيه، الإخلاص هذا لا يصدر إلا عن علم بالله ويعلمك
وتعظيماً له، قال الله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [سورة البينة: ٥].

وقال الله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة
الكهف: ١١٠].

هذه الآية من الأدلة على الاهتمام بالعلم، والعناية به، فإنها لا تقوم هذه الأمور إلا على
تلك المهمات العظيمة، أسأل الله ويعلمك أن يفقهنا في الدين، وأن يعلمنا التأويل، والحمد لله
رب العالمين.

سجلت في يوم الجمعة:

٤ جمادى الآخرة ١٤٤٣ هجرية

فرغها / أبو عبد الله زياد المليكي حفظه الله